استراتيجية التواصل ومقصدية الخطاب في سورة النمل
مقاربة تداولية

د/ سعاد شابي
جامعة أدرار

الملخص:

القرآن الكريم رسالة من الله تعالى أنزلها على رسوله الكريم ليبلغها إلى جمهور كوني يتضمن كل رموز الذهن جسد الله تعالى من خلالها قصص الأنبياء والمرسلين وأقوامهم، فكان لكل واحد منهم موقفه الذي دعمه الله سبحانه وتعالى بالحكمة والبيان والحجة.

الخطاب القرآني خطاب حجاجي إقناعي إذ يستحيل فهم دلالاته الصريحة والضمنية ما لم نفهم المقاصد التي يحملها.

سورة النمل خطاب موجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي تتمة لما قبلها تحكي قصص الأنبياء وفيها قصص داوود وسليمان عليهما السلام، فقد جسدت طرق أنبياء الله في تأدية ما كلفوا به وكيفية التأثير في الغير بغرض الاقناع.

كل هذا يحتاج إلى استراتيجية تواصلية تخاطبية لتحقيق مقصدية خطابهم، _وطبعا هذا مرهون بالمقام وبنوعية المخاطبين_، وهذا ما أدى إلى تنوع القصص القرآني.

وطبيعة الدراسة تقتضي المقاربة التداولية، والمقصود من مصطلح مقاربة مجموع التصورات والمبادئ والاستراتيجيات التي يتم من خلالها اتباع طريقة انجاز عمل ما، والتالي ف"مقاربة تداولية" معناه اتباع طريقة الدراسة التداولية في دراسة الخطاب القرآني من خلال سورة النمل، واخترنا تداولية كون النص القرآني رسالة من مرسل إلى مرسل إليه تحمل مقصدية خطابية مجسدة من خلال استراتيجية تواصلية محكمة.

وقد رسمنا لهذه المقاربة التداولية مبادئ واستراتيجيات تخدم طبيعة بحثنا من ضمن مجموعة أخرى من الخطوات الأخرى التي استبعدناها من البحث لأنها لا تخدم بحثنا من جهة ولكي لا نطنب من جهة أخرى.

هذا ما سنحاول دراسته من خلال هذا الموضوع الموسوم:" استراتيجية التواصل ومقصدية الخطاب في سورة النمل، مقاربة تداولية".

تمهيد:

القرآن الكريم رسالة من الله تعالى إلى رسوله الكريم ليبلغها إلى مجتمع كوني يتضمن كل رموز الذهن جسد الله تعالى من خلالها قصص الأنبياء

والمرسلين وأقوامهم، فكان لكل واحد منهم موقفه الذي دعمه الله سبحانه وتعالى بالحكمة والبيان والحجة.

سورة النمل: مكية نزلت بعد الشعراء، آيها ثلاث وتسعون آية، هي تتمة لما قبلها من السور تحكي قصص الأنبياء كقصص داوود وسليمان عليهما السلام، كما فيها تفصيل لقصص لوط وموسى مثلا، وهي في مجملها تذكير للعباد بوحدانية الله وبأن القرآن منزل من عند الواحد الأوحد، كما أنها ترغيب للمؤمنين وتهديد للكفار.

و"المقاربة التداولية" هي اتباع طريقة الدراسة التداولية في دراسة الخطاب القرآني من خلال سورة النمل، واخترنا تداولية كون النص القرآني رسالة من مرسِل إلى مرسَل إليه تحمل مقصدية خطابية مجسدة من خلال استراتيجية تواصلية محكمة.

وقد رسمنا لهذه المقاربة التداولية مبادئ واستراتيجيات تخدم طبيعة بحثنا من ضمن مجموعة أخرى من الخطوات الأخرى التي استبعدناها من البحث لأنها لا تخدم بحثنا من جهة ولكي لا نطنب من جهة أخرى.

1_ التواصل:

التواصل من تواصل على وزن تفاعل الذي يدل على:

"- المشاركة بين اثنين فأكثر، مثل: تجادل زيد وعمرو....

- التظاهر: ومعناه الادعاء بالاتصاف بالفعل مع انتفائه، مثل: تناوم...
- الدلالة على التدرج: أي حدوث الفعل شيئا فشيئا، مثل: تزايد المطر...
- المطاوعة: وهو يطاوع وزن فاعل، مثل: باعدته فتباعد...."[1]

ويعرف التواصل بأنه:" تبادل كلامي بين ذات متكلمة تنتج ملفوظا موجها إلى ذات متكلمة أخرى ترغب في السماع أو في إجابة واضحة أو ضمنية على حسب النموذج الملفوظ من المتكلم"[2]

وفي تعريف آخر:" التواصل هو الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور، إنه يتضمن كل رموز الذهن مع وسائل تبليغها عبر المجال، وتعزيزها في الزمان، ويتضمن أيضا تعابير الوجه وهيئات الجسم والحركات

---

[1] التطبيق الصرفي: عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1974م، ص 38.

[2]- اللغة والتواصل التربوي والثقافي: جميل حمداوي، منشورات مجلة علوم التربية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008م، ص 78.

ونبرة الصوت والكلمات والكتابات والمطبوعات والقطارات والتلغراف والتلفون وكل ما يشمله آخر ما تم في الاكتشاف في المكان والزمان"[1]

والتواصل نتيجة التخاطب- أي شخصين فأكثر- إذ لا بد أن يؤدي التخاطب إلى تمام فهم مقصد الخطاب حتى يكون تواصلا وإلا فلا.

فالتواصل يعد من مستويات التداولية وقد ارتبط باستراتيجيات الخطاب وتحليله، إذ:" التداولية دراسة المعنى التواصلي أو معنى المرسل في كيفية قدرته على إفهام المرسل إليه بدرجة تتجاوز ما قاله"[2]

وبالتالي فإن للتواصل وظيفة وتتمثل في:"...سعي المتكلم إلى إبلاغ المتلقي بأمر ما أو إلى نسبة عمل ما إليه"[3]

يقوم التواصل على:" نشاطين رئيسيين هما: الكلام والاستماع، هذان النشاطان لهما أهمية بالغة لدى عالم النفس باعتبارهما نشاطين عاليين للجهاز العصبي يحملان في ثناياهما عمليات تعكس طبيعة العقل البشري وقدرته"[4]

هذان النشاطان (الكلام والاستماع) يكونان في حالة اللغة المنطوقة طبعا، أما في حالة اللغة المكتوبة فيكون (القراءة والرؤية).

وللتواصل استراتيجيات فقد يتم بوسائل لغوية أو غير لغوية وبالتالي ينتج تواصل لغوي أو تواصل غير لغوي، إذ المقصود باستراتيجيات التواصل مجموعة المهارات التي تساعد على تنمية التواصل اللفظي – الاستماع، التحدث، القراءة، الكتابة-، وغير اللفظي- حركات الجسم، تلونات الوجه والصوت، الصمت، دلالة المكان، الألوان...-.

2- الخطاب:

الخطاب هو:" رسالة موجهة من المنشئ إلى المتلقي تستخدم فيها نفس الشفرة اللغوية المشتركة بينهما ويقتضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموع الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تكون نظام اللغة أي (الشفرة) وهذا النظام يلبي متطلبات عملية الاتصال بين أفراد

---

[1]- نفس المرجع، ص 53.

[2]- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، ط2002م، ص 06.

[3]- تحليل الخطاب: (ج.ب)براون و(ج) بول، تر: لطفي الزليطي ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود (المملكة العربية السعودية)، ط1997م، ص 02.

[4]- فلسفة اللغة واللسانيات: نور الدين النيفر، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 1993م، ص 157.

الجماعة اللغوية وتتشكل علاقاته من خلال ممارساتهم كافة ألوان النشاط الفردي والاجتماعي في حياتهم"[1]

ومعنى هذا أن الخطاب والتواصل متلازمان.

ويحدد الآمدي السمة الأساسية للخطاب وهي القصدية أثناء تعريفه للخطاب على أنه:" اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام ما هو متهيء لفهمه"[2]

ومعنى هذا أن الخطاب يحمل مقصدية معينة لا بد من تحققها.

3- مقصدية الخطاب:

للخطاب عدة مقاصد:

إن قصدي التوجه والإفهام هما أهم ما يهدف إليهما الخطاب وهما ما يعرفان بالقصد الإخباري والقصد التواصلي، يقول الجاحظ:" لا خير في كلام لا يدل على معناك ولا يشير إلى مغزاك وإلى العمود الذي إليه قصدت والغرض الذي إليه نزعت"[3]

وأما عن القصد التواصلي فقد ربط به تحقق الاتصال ونجاحه:" لا يتوقف نجاح التواصل على التلقي الجيد للكلام فحسب بل عليه (أي على المتلقي) أن يدرك القصد التواصلي للمرسل وأن يتفاعل معه فعليا وإدراكيا بشكل سليم"[4]

إذ أن القصد التواصلي والقصد الإخباري متلازمان فالإخبار يستلزم الإفهام وبهذا يتحقق التواصل وينجح.

كما يضاف إلى القصدين السابقين قصد الادعاء وقصد الاعتراض، وهذا ما قصده طه عبد الرحمان من مصطلح "تزاوج المتكلم" في قوله:" والمقصود بتزاوج المتكلم هو الانشقاق الاعتباري لذات المتكلم إلى شقين أو أقل، أو بالأحرى إلى ذاتين إحداهما ظاهرة تستقل بمبادرة الادعاء..والذات الثانية باطنة

---

[1]- الأسلوبية وتحليل الخطاب: نور الدين السد، دار هوما للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، 74/2.

[2]- الإحكام في أصول الأحكام: الآمدي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1981م، 72/1.

[3]- البيان والتبيين: الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط7، 1998م، 115/1.

[4]- Lyons john ,volume 29 of language and :Elements of semantics language, combridge university, 1990, p 35.

تشترك مع ذات المستمع في ممارسة الاعتراض، لأن المتكلم قد يتعاطى تصور مواطن النقد في الدعوة وتقدير مختلف الأسئلة"[1]

ولارتباط المقصدية بالخطاب فقد:" تحولت مقاصد التكلم في الدراسات التداولية الحديثة إلى منطلق أساسي من منطلقات تحديد الخصائص الإنشائية في الخطاب"[2]

والقصد في الخطاب والفعل شخصي:" ولا يلزم أحدا أن يقصد وقوع ما هو فعل الغير لأنه غير مكلف بفعل الغير وإنما يكلف بما هو من فعله"[3]

وبالتالي فإنه لكل خطاب مقصدية أو عدة مقاصد يعمل المرسل على إيصالها للمرسل إليه وإفهامه إياها، وأن كل شخص له قصده لذا لا يحاسب شخص عن قصد شخص آخر.

3- المقاربة التداولية:

المقاربة هي طريقة تتناول موضوعا ما[4] ، والمقاربة التداولية هي:" أحد أهم المناهج اللغوية الحديثة التي صححت مسار علم اللغة الحديث، متداركة بذلك العديد من نقائصه، وتنطلق التداولية من أن الوقوف بالدراسة اللسانية عند حدود بنية اللغة لا يمكن من فهمها والوقوف على أكبر قدر من حقائقها، لذلك تدعو إلى ضرورة أن تشمل الدراسة وظيفتها أيضا، وهو ما يعني الدعوة إلى دراسة اللغة في الاستعمال أي دراستها وهي تؤدي وظيفتها التواصلية"[5]

وبالتالي فالتداولية تعنى بالنص الخطابي ضمن سياقه وهو يؤدي دوره التواصلي جامعا بين قطبي العملية التواصلية المرسل والمرسل إليه (المخاطِب والمخاطَب).

وأما وظيفة التداولية فتتمثل في:"...استخلاص العمليات التي تمكن الكلام من التجذر في إطاره الذي يشكل الثلاثية الآتية: المرسل- المتلقي- الوضعية

---

[1]- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998م، ص 265.

[2]- الرسائل الأدبية: صالح بن رمضان، ص 127.

[3]- الموافقات: الشاطبي، تح: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، 1989م.

[4]- voir : Nouveau vocabulaire philosophique : Cuvillier(armand), op,cit, p 21 .

[5] المناهج اللغوية الحديثة وأثرها في تدريس النصوص بمرحلة التعليم الثانوي شعبة العلوم الإنسانية: الصبيحي محمد الأخضر، مخطوطة أطروحة دكتوراه دولة، جامعة قسنطينة، 2005/2004م، ص91.

التبليغية، إن أي تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق التي تؤول فيه الجملة"[1]

وقد حددنا في دراستنا هذه المستويات التي تختص بها المقاربة التداولية والتي تحدد وتوضح استراتيجيات التواصل ومقصدية الخطاب القرآني من خلال سورة النمل، ونجملها في:

- مستوى السياق: وهو قسم مهم من أقسام التداولية.
- مستوى الأفعال الكلامية: والتي بها يتضح البعد التواصلي التداولي.
- مستوى الحجاج: تتجلى من خلاله كيفية الإقناع.
- مستوى الحوار: وفيه يتجلى البعد التداولي.

أ- السياق: فالتداولية تعنى بالنص الخطابي ضمن سياقه وهو يؤدي دوره التواصلي جامعا بين قطبي العملية التواصلية المبدع والمتلقي.

إن التفاعل بين المرسل والمرسل إليه ينتج من استعمال اللغة في سياق معين والذي يتجسد من خلال ما يلي:[2]

_ معتقدات المتكلم ومقاصده وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشارك تفعيل الحدث اللغوي.

_ الوقائع الخارجية(الظروف الزمكانية، والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة).

_ المعرفة المشتركة بين المتخاطبين وأثر النص الكلامي فيهم.

ب- الأفعال الكلامية:

الأفعال الكلامية هي موضوع من موضوعات التداولية، والفعل الكلامي يعني:"..كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي، دلالي، إنجازي وتأثيري وفضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعال قولية Actes locutoires لتحقيق أغراض إنجازية Actes illocutoires تخص ردود فعل المتلقي

[1] – Enonciation de la subjectivité dans la language: Orecchioni c.k, armand colin, paris, 1980, p 185.

[2] دراسات في اللسانيات العربية (بنية الجملة العربية- التراكيب النحوية والتداولية علم النحو وعلم المعاني): عبد الحميد السيد، دار الحامد، ط1، 2004م، ص119.

(كالرفض والقبول) ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا ومؤسساتيا ومن ثم إنجاز شيء ما"[1]
ونظرية الأفعال الكلامية تهدف إلى دراسة:"...مقاصد المتكلم ونواياه، فالمقصد يحدد هدف المرسل من وراء سلسلة الأفعال اللغوية التي يتلفظ بها، وهذا ما يساعد المتلقي على فهم الخطاب ومن ثمة يصبح توفر القصد والنية مطلبا أساسيا، وشرطا من شروط نجاح الفعل اللغوي الذي يجب أن يكون متحققا ودالا على معنى"[2]
ويرى أوستين أن الفعل الكلامي ثلاثة خصائص[3]:
_ إنه فعل دال.
_ إنه فعل إنجازي (أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات).
_ إنه فعل تأثيري (أي يترك آثارا معينة في الواقع خصوصا إذا كان فعلا ناجحا).
إن الفعل الكلامي ليس بالضرورة أن يحقق إنجازا حتى نقول عنه إنه فعل كلامي، فقد يثير الكلام فضولا في نفسية المخاطَب وهذا كاف.
يقول منغونو:" نعتبر أن الفعل الكلامي قد يتحقق حتى وإن لم تثبت نتيجة (في الواقع)، إن مجرد إصداره يضفي عليه مشروعيته، بمعنى آخر إن الذي يصدر منه فعلا كلاميا لا ينتظر حتى تتوفر جميع الشروط ليقوم بذلك، إن مجرد التلفظ به يعني أن تلك الشروط قد اجتمعت"[4]
فالأفعال الكلامية دورها تحويل معتقدات المتخاطبين واستمرارية الخطاب بين أطرافه، فالاستعمال المتبادل للأفعال الكلامية هو ما يخلق التفاعل الكلامي وهذا من خلال الحوار.
أخذنا بتقسيم "أوستين" الذي قسم الأفعال الإنجازية إلى أقوال تقريرية، وأقوال إنشائية .
أ -الأقوال التقريرية:

---

[1] التداولية عند العلماء العرب: مسعود صحراوي، (مرجع سابق)، ص20.

[2]- نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية: نعمان بوقرة، مجلة اللغة والأدب، العدد 17، 2006م، ص 170.

[3] التداولية عند العلماء العرب: مسعود صحراوي، (مرجع سابق)، ص44.

[4]- Pragmatique pour le discours littéraire : Maingueneau d.n, paris, bordas, 1990, p09.

وهي عند العرب الأساليب الخبرية وهي عبارة عن الأقوال التي تحتمل الصدق أو الكذب، أي تستطيع الحكم عليها بالصدق إن طابقت نسبة الكلام فيها الواقع، وبالكذب إن لم تطابق نسبة الكلام فيها الواقع، ومنها:

- الأقوال الدالة على الثبات

-الأفعال الإخبارية

-الأفعال الدالة على الحكم

ب - الأقوال الإنشائية :

هي أقوال لا تصف، ولا تخبر، ولا تمثل، ولا تخضع لمعيار الصدق أو الكذب، أي أن ميزتها الأساسية أن التلفظ بها يساوي تحقيق فعل في الواقع، وقد صنفها سيرل إلى أفعال كلامية مباشرة، وأفعال كلامية غير مباشرة .

1-الأفعال الكلامية المباشرة :

هي عبارة عن الأقوال التي تدل صيغتها على ما تدل عليه هذه الأقوال، أي الصيغة تساوي المحتوى، وهي:

- الأقوال الاستفهامية

-الأقوال الناهية

-الأقوال الأمرية

وهذه الأقوال الغرض منها التأثير في المتلقين وإقناعهم.

2 -الأفعال الكلامية غير المباشرة :

وهي عبارة عن تلك الأقوال التي لا تدل صيغتها على ما تدل عليه كالاستفهام الإنكاري ، وكالتشويق مثلا.

ج- الحجاج:

الحجاج:" جنس خاص من الخطاب يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا قاصدا إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية"[1]

[1]- النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع: محمد العبد، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 2002م، العدد 60، ص 44.

وبهذا فإن هدف الحجاج في:"...التأثير في المتلقي إما لتدعيم موقفه وإما لتغيير رأيه فتبني موفق جديد سواء كان هذا الموقف يقتصر على الإقناع الذاتي أو يقتضي فعلا ما"[1]

وبالتالي فإن الهدف من الحجاج هو إقناع المتلقي. وهو في القرآن يتنوع بين:

-ذكر الحجة والنتيجة: الآيات القرآنية.

-الحجاج بالاستفهام، النفي، الحصر، النداء،.....

-الحجاج بالصورة البيانية: الاستعارة الحجاجية، التشبيه...

د- الحوار:

هو نوع من الحديث بين شخصين، وهو أن:" يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة وقد لا يقنع أحدهما الآخر ولكن السامع يأخذ العبرة ويكون لنفسه وقفا"[2]

الجانب التطبيقي:

أ- السياق:

جاءت آيات السورة تربط القول بالأقوال السابقة، فالسياق التداولي لسورة النمل جاء فيه تتمة لما قبلها من القرآن، تحكي قصص الأنبياء (موسى، لوط، داوود وسليمان.....)، والخطاب موجه لمحمد صلى الله عليه وسلم.

إن القرآن الكريم نزل على الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فقصص الأنبياء المذكورة في القرآن كانت سابقة زمنيا لفترة نزوله فكان السياق سياقا تاريخيا يسرد ما أمر الله تعالى به الأنبياء من تبليغ الهداية، وكذا ما مروا به من محن، وهذا كله إنما كان لأخذ العبر.

يتجسد في السورة بل ويغلب عليها السياق الديني تذكيرا للعباد بأن القرآن الكريم منزل من عند الله تعالى، وفيها ترغيب للمؤمنين بالجنة وتهديد للكفار بجهنم.

ب- الأفعال الكلامية:

1-الأقوال التقريرية:

---

[1]- الحجاج في المقام المدرسي: كورنيلا فون راد- صكومي، منشورات كلية الآداب، منوبة، 2003م، ص 13.

[2]- أصول التربية الإسلامية وأساليبها: عبد الرحمان النحلاوي، دار الفكر، دمشق، ط2، 1995م، ص 206.

- الأقوال الدالة على الثبات:

قوله تعالى:" ولقد آتينا داوود وسليمان علما"[1]

قوله تعالى:" ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون"[2]

قوله تعالى:" إنا دمرناهم وقومهم أجمعين"[3]

قوله تعالى:" وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين"[4]

قوله تعالى:" بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون"[5]

قوله تعالى:" وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون"[6]

قوله تعالى:" إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم"[7]

هي كلها آيات محكمات من الله سبحانه وتعالى، وهي أقوال تقريرية معانيها لا مجال للشك فيها فهي تحمل معان ثابتة:

- **القرآن من عند الله تعالى.**
- **فضل الله ونعمه على عباده كإتيان العلم.**
- **علم الله بالظاهر والخفي.**
- **قدرة الله على القضاء في الأمور.**
- **الله عزيز عليم.**

-الأفعال الإخبارية:

قوله تعالى:" الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون"[8]

- **إخبار بالذين يؤمنون بالآخرة يؤدون ما شرع الله لهم.**

قوله تعالى:" إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينّا لهم أعمالهم فهم يعمهون، أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون"[9]

---

[1]- سورة النمل الآية: 15

[2]- الآية: 50

[3]- الآية: 51

[4]- الآية: 58

[5]- الآية: 66

[6]- الآية: 73

[7]- الآية: 78

[8]- الآية: 03

[9]- الآيتين: 04-05.

– فيه إخبار عن عاقبة الذين أعرضوا عن أحكام الله، فهم في عذاب شديد وبالتالي هم في خسران كبير.

قوله تعالى:" وحشر لسليمان جنودُه من الجن والإنس والطير فهم يوزعون"[1]

– إخبار بالنبي سليمان، وبالمعجزة التي وهبها له الله تعالى، فقد سخر له الجن والإنس والطير جندا له وفهمه للغة الطير وكله من الله تعالى.

قوله تعالى:" فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين"[2]

– إخبار بالخبر الذي جاء به الهدهد، وبالتالي فهم الهدهد للغة سبأ وفهم سليمان للغة الهدهد.

قوله تعالى:" إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون"[3]

– الخبر الذي أتى به الهدهد أن قوم سبأ تحكمهم امرأة وأنهم يعبدون الشمس من غير الله.

قوله تعالى:" إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم"[4]

– إخبار بوحدانية الله، وأن سليمان عليه السلام كان مؤمنا.

قوله تعالى:" قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة. وكذلك يفعلون"[5]

– فيها إخبار عن حكمة بلقيس ملكة سبأ وفي مشورتها لكبار قومها.

قوله تعالى:" قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين، قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم"[6]

– فيه إخبار عن ولاء وطاعة الجن والطير لسليمان وعن قوة إيمان سليمان بربه وشكره له.

---

[1]- الآية: 17

[2]- الآية: 22

[3]- الآيتان: 23-24

[4]- الآية: 30

[5]- الآية: 34

[6]- الآيتان: 39-40

قوله تعالى:" وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين"[1]

– إخبار عن كفر بلقيس وقومها

قوله تعالى:" وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون"[2]

– إخبار عما يفعله الكفار من فساد في الأرض

قوله تعالى:" فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون، وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون"[3]

– إخبار عن جزاء المفسدين أن آلت حياتهم إلى الخراب والزوال ونجاة المؤمنين المتقين.

قوله تعالى:" فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين، وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين"[4]

-إخبار عن قدرة الله تعالى في إنجاء لوط وتابعيه وهلاك امرأته.

قوله تعالى:" وقال الذين كفروا إذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون، لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين"[5]

– الحسرة لا تنفع بعد فوات الأوان، إذ إدراك الكفار لما حذرهم منه رسل وأنبياء الله لا ينفعهم بعد فوات الأوان.

قوله تعالى:" ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات والأرض إلا من شاء الله وكل اتوه داخرين"[6]

– إخبار وتصوير لعظمة يوم القيامة يوم يفزع من في السموات والأرض.

قوله تعالى:" وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون"[7]

– إخبار بقدرة الله على خلق كل شيء، وأنه خبير بما يفعل العباد.

قوله تعالى:" إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين"[1]

---

[1]- الآية: 43

[2]- الآية: 48

[3]- الآيتان: 52-53

[4]- الآية: 57

[5]- الآيتان: 67- 68.

[6]- الآية: 87

[7]- الآية: 91

– طاعة الرسل للرحمان، وأنه هو الرب الذي يملك كل شيء والذي أمر عبده بالإسلام.

وهي كلها أفعال كلامية وظيفتها الإخبار عن حكمة الله في خلقه وقدرته في تدبير خلقه، وإخبار عن قصص الأولين وعن علم الله تعالى بأخبارهم، وإخبار عن طاعة أنبياء الله ورسله لرب العالمين، وطبعا وردت في خطاب موجه للرسول صلى الله عليه وسلم للتوحيد بالله وأخذ الموعظة من قصص السابقين.

-الأفعال الدالة على الحكم:

قوله تعالى:" أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون"[2]

– القول فيه حكم بالجهالة لأولئك-قوم لوط- الذين يقومون بالفاحشة.

في قوله تعالى:" طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين، هدى وبشرى للمؤمنين"[3]

– حكم ثابت أن القرآن من عند الله، وهو هدى للمتقين وبشرى لهم بالجنة، أي حُكم لهم بالمفازة.

قوله تعالى:" وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم"[4]

– تقرير فيه حكم ثابت بأن القرآن من عند الله وهو حكيم عليم بكل شيء.

قوله تعالى:" ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم"[5]

– قول فيه حكم على أن الشاكر لله إنما يشكر لنفسه لأنه هو الفائز، أما من كفر فهو الخاسر، والحكم الآخر أن الله غني عن العباد وهو من يكرم الإنسان بالتوبة.

قوله تعالى:" وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون"[6]

– هو قول فيه حكم ثابت بعلم الله بالسر والعلانية.

قوله تعالى:" وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين"[7]

– قول فيه حكم بأن القرآن يزيد المؤمنين هدى ويبشرهم برحمة من الله تعالى.

---

[1]- الآية: 88

[2]- الآية: 55

[3]- الآية (1، 2)

[4]- الآية: 06

[5]- الآية: 40

[6]- الآية: 74

[7]- الآية: 77

قولله تعالى:" من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون، ومن جاء بالسيئة فكُبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون"[1]

– هو حكم صريح بأن الذين يعملون صالحا لهم الأمن والمفازة يوم القيامة وهذا إنما ترغيب للمؤمنين، وأما الذين يجنون السيئات فهم من أصحاب النار، والمثل بالمثل، وهذا إنما تهديد لهم.

وبالتالي كل هذه الأفعال الكلامية هي أقوال فيها أحكام متنوعة بين: الحكم بوحدانية الله وأن القرآن من عند العزيز الحكيم، وحكم بمفازة المتقين وخسارة الكفار، وحكم بعلم الله الغيب، وأن القرآن هداية وبالتالي الكفر ضلالة....وهي أقوال ثابتة لأنها صادرة من لدن العزيز الحكيم.

2 - الأقوال الإنشائية :

- الأفعال الكلامية المباشرة :

- الأقوال الاستفهامية:

قوله تعالى:" وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين"[2]

فسليمان تساءل عن غياب الهدهد بعدما تفقده ولم يجده.

قوله تعالى:" فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون"[3]

استفهام يوحي بغضب سليمان من الهدية.

قوله تعالى:" قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين"[4]

استفهام تحقيقه إنما إظهار قدرة الله تعالى.

قوله تعالى:" قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون"[5]

استفهام تعجبي لاستعجال القوم السيئة قبل الحسنة وفيه عرض للاستغفار.

قوله تعالى:" ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين"[6]

تساؤل يوحي بتكذيب المرسلين.

– الأقوال الأمرية:

---

[1]- الآيتان: 89-90.

[2]- الآية: 20

[3]- الآية: 36

[4]- الآية: 38

[5]- الآية: 46

[6]- الآية: 71

قوله تعالى:" وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب"[1]
أمر الله موسى عليه السلام بإلقاء عصاه ليريه قدرته تعالى.
قوله تعالى:" وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين"[2]
أمر لإظهار المعجزة.
قوله تعالى:" فانظر كيف كان عاقبة المفسدين"[3]
أمر فيه إظهار العلم بالغيب.
قوله تعالى:" فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين"[4]
أمر يفيد الدعاء.
قوله تعالى:" اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون"[5]
أمر لإظهار نتيجة تلقي قوم سبأ لرسالة سليمان.
قوله تعالى:" ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون"[6]
أمر يوحي بغضب سليمان على قوم سبأ.
قوله تعالى:" قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون"[7]
أمر يوحي بإظهار قدرة المولى عز وجل.
قوله تعالى:" فانظر كيف كان عاقبة مكرهم إنا دمرناهم وقومهم أجمعين"[8]
أمر يوحي بالعلم بالغيب.
قوله تعالى:" قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون"[9]

---

[1]- الآية: 10
[2]- الآية: 12
[3]- الآية: 14
[4]- الآية: 19
[5]- الآية: 28
[6]- الآية: 37
[7]- الآية: 41
[8]- الآية: 51
[9]- الآية: 56

أمر يوحي بتكذيب أهل لوط لنبوة لوط عليه السلام.
قوله تعالى:" قل الحمد لله"[1]
الأمر بحمد الله تعالى، فهو مولانا .
قوله تعالى:" قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين"[2]
أمر يوحي بالعلم بالغيب.
قوله تعالى:" وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها"[3]
الأمر بحمد الله تعالى، فهو العالم بالغيب.
– الأقوال الناهية:
قوله تعالى:" يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون"[4]
الله تعالى ينهى موسى عن الخوف، فهو من عباده المرسلين.
قوله تعالى:" ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون"[5]
نهي عن الحزن، وفيه طمأنينة للرسول.
– النداء:
قوله تعالى:" فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين، يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم"[6]
نداء من الله تعالى لموسى عليه السلام، وهو يوحي بقدرة الله تعالى وبمكانة موسى عليه السلام،
قوله تعالى:" وورث سليمان داوود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين"[7]
نداء فيه إظهار لقدرة الله تعالى.
قوله تعالى:" حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون"[8]
نداء فيه تحذير.

---

[1]- الآية: 59
[2]- الآية: 69
[3]- الآية: 93
[4]- الآية: 10
[5]- الآية: 70
[6]- الآيتان: 08-09
[7]- الآية: 16
[8]- الآية: 18

قوله تعالى:" قالت يا أيها الملأ افتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون"[1]
نداء لطلب ملكة سبأ الشورى من أشراف قومها، وهذا إنما دعا إليه الإسلام بالرغم من أن سبأ ليسوا بمسلمين.
قوله تعالى:" قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين"[2]
نداء يفيد الدعاء.
- الأفعال الكلامية غير المباشرة :
وهي عبارة عن تلك الأقوال التي لا تدل صيغتها على ما تدل عليه كالاستفهام الإنكاري مثلا في:
قوله تعالى:" آآلله خير أما تشركون"[3]
قوله تعالى:" أإله مع الله بل هم قوم يعدلون"[4]
قوله تعالى:" اإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون"[5]
قوله تعالى:" أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون"[6]
قوله تعالى:" أإله مع الله تعالى الله عما يشركون"[7]
قوله تعالى:" أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"[8]
كل الآيات تحمل استفهام إنكاري، فلا إله مع الله الواحد الأحد.
<u>ج- الأفعال الحجاجية:</u>
– ذكر الحجة والنتيجة: الآيات القرآنية:
قوله تعالى:" طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين، هدى وبشرى للمؤمنين، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون"[9]

---

[1]- الآية: 32
[2]- الآية: 44
[3]- الآية: 59
[4]- الآية: 60
[5]- الآية: 61
[6]- الآية: 62
[7]- الآية: 63
[8]- الآية:64
[9]- الآيات: 01-02-03

فالقرآن هدى وبشرى للذين يقومون بأحكام الله، وبالتالي فالحجة هي إيقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والنتيجة أن يبشر المؤمنون بالجنة.
قوله تعالى:" إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون، أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون"[1]
فالحجة عدم الإيمان الآخرة، والنتيجة خسارة هؤلاء وبالتالي سوء العذاب.
قوله تعالى:" وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم"[2]
فالحجة أن القرآن من عند الله، والنتيجة هو تلقيه.
قوله تعالى:" إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم"[3]
فالحجة هو من تاب بعد السيئة والنتيجة الغفران والرحمة من الله تعالى.
قوله تعالى:" إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمان الرحيم"[4]
الحجة هي الإقرار بوحدانية الله تعالى، وبالتالي لابد من الإيمان بذلك.

– الحجاج بالاستفهام:

فللاستفهام دور كبير في العملية الحجاجية:(نظرا لما يعمله من جلب القارئ أو المستمع في عملية الاستدلال، بحيث إنه يشركه بحكم قوة الاستفهام وخصائصه فهو أسلوب إنشائي، وهذه الأمور أيضا هي من سمات الاستفهام البلاغي في القرآن الكريم بحيث إنه يخدم مقاصد الخطاب ويلعب دورا أساسيا في الاقناع بالحجة)[5]
قوله تعالى:" أآلله خير أما تشركون"[6]
قوله تعالى:" أإله مع الله بل هم قوم يعدلون"[7]
قوله تعالى:" اإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون"[8]
قوله تعالى:" أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون"[1]

---

[1]- الآيتان: 04-05
[2]- الآية: 06
[3]- الآية: 11
[4]- الآية: 30
[5]- البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل نموذجا: الحواس مسعودي، مجلة اللغة العربية وآدابها، ع12، ديسمبر 1997م، ص 341-342.
[6]- الآية: 59
[7]- الآية: 60
[8]- الآية: 61

قوله تعالى:" أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"[2]
فالحجج ههنا بالاستفهامات في الآيات القرآنية إنما لتقرير الحقيقة العظمى وهي وحدانية الله تعالى، كما هي أسئلة ترسي قواعد التوحيد، فلا إله غير الله، ولا يجيب دعوة الداعي إلا الله تعالى، كما فيها توبيخ للذين يشكون في وحدانية الله تعالى (هاتوا برهانكم).

- **الحجة بالنفي وتأكيده:**

قوله تعالى:" أإله مع الله تعالى الله عما يشركون"[3]
فالله تعالى ينفي وجود إله معه، ثم يؤكد هذا النفي، بأنه هو العالي وهو الأوحد.

- **الحجاج بالصورة البيانية: الاستعارة الحجاجية، التشبيه...**
- **قوله تعالى:" وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون"[4]**
- **قوله تعالى:" وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب"[5]**

فالتشبيه الأول تشبيه بليغ، تشبيه مرور الجبال كمرور السحاب، وإنما حجة ودليل على قدرة الله تعالى.
أما التشبيه الثاني فتشبيه اهتزاز العصا بالجان، وهي أيضا حجة على قدرة الله تعالى وعلى معجزته لرسله.

د-الحوار:

" القرآن وثيقة رائعة من وثائق الحوار الديني الذي يتعلق بكل قضايا العقيدة ابتداء من فكرة وجود الله ووحدانيته إلى الأحكام الشرعية"[6]
والحوار يتجسد من خلال:

- **محاورة سليمان لجنده، وحواره وع الهدهد.**
- **محاورة بلقيس ملكة سبأ لأشراف قومها لاستشارتهم.**
- **محاورة سليمان لملكة سبأ.**

كلها حوارا هدفها التواصل، إضافة إلى الاقناع كحوار سليمان لبلقيس.

---

[1]- الآية: 62
[2]- الآية:64
[3]- الآية: 63
[4]- الآية: 91
[5]- الآية: 10
[6]- الحوار في القرآن: محمد حسين فضل الله، 10/1.

خاتمة:

طبعا هي نماذج فقط من هذه السورة الكريمة، وما يمكن قوله خلاصةً:

– القرآن الكريم خطاب تواصلي، منزل على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغ إلى الناس عامة، هدفه نشر التوحيد والهداية.

– إن عملية التواصل في السورة الكريمة تمت من خلال استراتيجيات هدفها الإقناع.

– هذه الاستراتيجيات والمتمثلة في: السياق، الأفعال الكلامية، الحجاج، الحوار كلها مستويات مهمة لتحقيق مقصدية الخطاب المتمثل في الاقتناع بوحدانية الله تعالى، وأن القرآن من عند الله، وأن الرسل والأنبياء مأمورون من الله تعالى بتبليغ رسالاته، وأن المفازة للمتقين والخسارة للكفار.